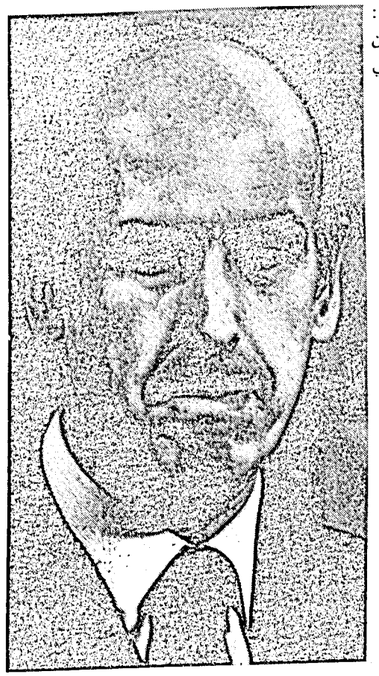

جيسكار ديستان : مشروعه جزء من المخطط الامبريالي

حقائق اكّدتها المبادرة الفرنسية الاستعمارية

تحت هذا العنوان ، نشرت « الثوري » الناطقة المركزية باسم حزب العمل الاشتراكي العربي ، المقال الافتتاحي التالي ، بعددها « ٣٤ » الذي سيصدر اليوم السبت الموافق ٢٩ - ٥ - ١٩٧٦ :

بين التصدي الباسل الذي واجهت به الجماهير اللبنانية والفلسطينية ، هجمة الفاشية اللبنانية ومن ورائها الرجعية العربية والقوى الامبريالية ، وتهاوي نظام الرجعية اللبنانية العفن تحت ضربات المناضلين وسقوط مؤسسات النظام القمعية والادارية ، وسيطرة الجماهير على أكثر من أربعة أخماس الاراضي اللبنانية ، بين كل ذلك من جهة وبين عجز الفاشية ومن يدعمها عربيا وعالميا عن توجيه ضربتها للحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية في بداية الاحداث ، وعجزها من ثم عن اعادة بناء النظام الرجعي اللبناني بقوة حراب الفاشية ، من جهة ثانية ، [illegible]

الرجعية اللبنانية والعربية والدوائر الامبريالية الى طرح مشاريع تمكنها من التقاط انفاسها ، وتطويق انتصارات الجماهير والالتفاف حولها مستفيدة من تردد قيادة الحركة الوطنية ، واصلاحيتها . فمن « لجنة المصالحة الوطنية » الى « الوثيقة الدستورية » حتى مشاريع « براون » و « غورس » ، وأخيرا اقتراح « ديستان » بارسال قوات عسكرية فرنسية الى لبنان .

لقد سجل التاريخ بوضوح ادانته للدور الاستعماري البشع الذي لعبته فرنسا في العالم اجمع ، كما سجل الجرائم الوحشية التي ارتكبتها الجيوش الفرنسية بحق جماهيرنا العربية المتطلعة دوما الى التحرر من نير الاستعمار . فشعبنا العربي يعرف جيدا . من احرق مدنا بكاملها في بلد المليون شهيد - الجزائر - كما يعرف أيضا من اغتال آلاف المناضلين في سوريا ولبنان ، في ظل معارك التحرر من الاستعمار الفرنسي . فرنسا هذه ميسلون والتي أورثتنا هذا النظام الطائفي المقيت . فرنسا التي خرجت من بلادنا بقوة الجماهير العربية المناضلة ، والتي عادت بعد حرب ١٩٦٧ ، بقيادة « ديغول » لتنسج خيوط عودتها لاستثمار جماهير شعبنا ونهب خيراته الطبيعية ، تحت ستار تأييد قضايا شعبنا وتقديم المساعدات المادية والتقنية بحيث ، باتت الان تملك العديد من شركات التنقيب عن النفط ، والمؤسسات الاقتصادية الاخرى في أكثر من قطر عربي ... فرنسا هذه تعود اليوم لتكشف عن وجهها الاستعماري البغيض .

لقد وجد حكام فرنسا الامبرياليون التطورات الاخيرة التي تمر بها منطقتنا العربية ، وانعكاس الاحداث اللبنانية عليها ، فرصة مؤاتية لتدعيم مواقعهم الاقتصادية بتواجد عسكري ، يسهم بتعزيز هذه المواقع الاقتصادية ، ويتيح لفرنسا فرصة أكبر للمشاركة في رسم السياسة الاستعمارية ، وتعاملها مع قضايا الامة العربية بشكل عام ، وفي مسار فرص التسوية الاستسلامية المتعلقة بالقضية الفلسطينية بشكل خاص . فالاقتراح الفرنسي الذي اعلنه « ديستان » في « نيواورليانز » ، هو في الاصل حلقة من مشروع استعماري تحلم به فرنسا وتجد الان ظروفا مناسبة لاحتمال وضعه موضع الترجمة العملية ، مستغلة تطورات الاحداث اللبنانية ومضاعفاتها عربيا ودوليا . ففي ظل عجز حكام دمشق عن انقاذ النظام اللبناني الرجعي ، وعجز الولايات المتحدة عن التدخل العسكري المباشر ، وجدت فرنسا ان بامكانها التقدم بمشروعها ، مستعينة بمالها من رصيد لدى بعض الانظمة العربية ولدى القوى الفاشية في لبنان .

ان المبادرة الفرنسية هي جزء من المخطط الامبريالي المعد للمنطقة ، وفرنسا اذ تبادر ، انما تستغل طلب مصر وسوريا ، (زيارة السادات الى فرنسا وزيارة الاسد المزمع القيام بها) من الدول الاوروبية عامة وفرنسا خاصة ، للمشاركة في مؤامرة التسوية الاستسلامية لتصفية القضية الفلسطينية ، من جهة ، ومن جهة ثانية تستغل عجز أميركا عن التدخل العسكري المباشر ، الذي يتعارض وطبيعة سياستها التي تتظاهر باتباع دور الوسيط .

صحيح ان الولايات المتحدة الاميركية قد ترى في المحاولة الفرنسية ، منافسة لها في الهيمنة على الوطن العربي ومشاركة غير مرغوبة في رسم السياسة الاستعمارية للمنطقة باسرها ، وصحيح أيضا ان « كيسنجر » ضمن تعليقه على الاقتراح الفرنسي ما يوحي برفضه ، وصحيح أيضا ان زعيمة الامبريالية العالمية يهمها بالدرجة الاولى أن تكون المهيمن الوحيد على الوطن العربي ، كله صحيح ، بيد ان حراجة الموقف الاميركي والعجز الذي تعانيه أميركا يجعلانها في حالة ارتباك ازاء المبادرة الفرنسية ، التي تعكس اهتمام فرنسا بتعزيز مواقعها الاقتصادية بوجود عسكري وتدخل سياسي ، أكثر فاعلية ونفوذا في المنطقة من السابق ، الامر الذي يجعل أميركا في نهاية المطاف مع المحاولة الاستعمارية الفرنسية التي تذكرنا بعهد الانتداب الفرنسي البغيض والمقيت .

أما على الصعيد العربي فقد تراوح رد الفعل على الاقتراح الفرنسي بين الشجب الكلي ليس للتدخل الفرنسي العسكري فحسب ، بل لاي تدخل عسكري في لبنان ، الى الدعوات لاستبدال الاقتراح الفرنسي باقتراح يدعو الى دخول قوات عربية مشتركة الى لبنان الى الدعوة للاكتفاء بالتدخل السوري . فقد اعلن « القذافي » ، ان الاقتراح الفرنسي « أسلوب عنيف لم يعد يصلح الان في العالم العربي » وأخذت الجزائر والعراق نفس الموقف .

واتخذت بعض الانظمة العربية من الاقتراح الفرنسي ذريعة لتجدد دعوتها الى ارسال قوات عربية مشتركة الى لبنان . وكانت سوريا من أكثر الانظمة العربية استفادة من الخطوة الفرنسية تحت شعار ، أيهما أفضل ، التدخل الفرنسي الاجنبي أم تدخل الجيش السوري العربي ؟.

وفي لبنان هللت الفاشية للمشروع الفرنسي ، واعتبرت التدخل العسكري الخارجي المخرج العملي للخروج بحل لمسألة ما تسميه « الفراغ الامني » . فقال الجميل « ان الفراغ الرهيب الذي وجدت فيه البلاد يضطرنا الى القبول مكرهين بأي قوة أمنية ضابطة لهذا المد المخيف » . كما اثارت الفاشية مجددا مسألة الوجود الفلسطيني المسلح وضرورة التخلص منه ، مما ساهم بكشف الغرض الاساسي من طرح مشكلة « الفراغ الامني » وحلها باستقدام قوات عربية أم أجنبية .

أما بالنسبة للجماهير العربية واللبنانية فقد أعلنت رفضها القاطع للاقتراح الفرنسي . واجمعت الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية على اعتبار الخطوة الفرنسية تعبير عن محاولة استعمارية مكشوفة في لبنان . وعملت على تشكيل لجان لمقابلة المسؤولين الفرنسيين وابلاغهم رفض الاقتراح الفرنسي .

بعد هذا العرض لطبيعة ولظروف الاقتراح الفرنسي وردود الفعل عليه يمكننا الخروج بالحقائق التالية :

الحقيقة الاولى :

لقد كشف الاقتراح الفرنسي زيف الادعاءات التي طالما اعلنتها فرنسا ، كوقوفها الى جانب الامة العربية في صراعها ضد الامبريالية واسرائيل ، من خلفه تعمل فرنسا على اعادة سيطرتها الاقتصادية والسياسية على الوطن العربي . ان اعلان « ديستان » « امكان اضطرار قواته للقتال في بعض المناطق الحساسة » ، يؤكد النوايا العدوانية التي يبيتها المشروع الفرنسي ضد الجماهير اللبنانية والفلسطينية ، هذا من جهة . ومن جهة ثانية يؤكد اهتمام فرنسا واستعدادها لحماية الرجعية العربية وانقاذ وحماية الصهيونية بامكان اقدامها على ضرب القوى الوطنية العربية .

الحقيقة الثانية :

بما ان « الاستعمار كالافاعي ، تغير جلدها ولا تغير لونها » فان الانظمة العربية الوطنية مطالبة باعادة دراسة علاقتها مع الدول الرأسمالية ، دراسة الغاية منها حرمان الاستعمار من فرص العودة الى المناطق التي خرج منها . على هذه الانظمة أن تتساءل بجدية « من هم اصدقاء الشعوب ؟ » الامبرياليون أم الاشتراكيون ؟.

ان الضرورة تقتضي استبدال العلاقة مع العالم الامبريالي بالعلاقة مع المعسكر الاشتراكي - الصديق الحقيقي للشعوب - تلك العلاقة التي لا ينتج عنها مطامع استعمارية ، ولكنها تبقى في اطار المنفعة المتبادلة ومصلحة الشعب العربي في متابعة تطوره وتحرره السياسي والاقتصادي .

الحقيقة الثالثة :

ان السياسة التي اتبعتها فرنسا بعد هزيمة ١٩٦٧ ، والتي تظاهرت بدعم الحق العربي والتقرب بشكل محدود جدا من المواقف العربية ، التي هي بحد ذاتها مواقف لا تتسم بالجذرية ... ان هذه السياسة قد اتاحت لفرنسا الدخول الى المنطقة العربية ، واحتلال مواقع اقتصادية هامة لها ، باتت تفرض على فرنسا التفكير بدعم هذا الوجود الاقتصادي بوجود عسكري ، الامر الذي يحتم علينا استخلاص العبرة من النشاط الفرنسي الاخير ويدعونا الى القناعة التامة بأن أي وجود اقتصادي لاي بلد سياسي أمبريالي ، في بلادنا ، سيكون قابلا لان يجر وراءه وجودا عسكريا أو سياسيا استعماريا . من هنا يتحتم على جماهيرنا العربية وقواها التقدمية والوطنية ، كشف وفضح ومحاربة اقامة علاقات اقتصادية مع البلدان الامبريالية من شأنها ان تعيد نفوذ هذه البلدان الاستعماري لبلداننا .

كيف نواجه الاقتراح الفرنسي ؟

على كافة الجماهير العربية والانظمة الوطنية ان تترجم رفضها المعلن لاقتراح « ديستان » بضرب المصالح الفرنسية في العالم العربي ، وبالضغط على باقي الانظمة العربية بنفس الاتجاه . وعليها ان تقدم الدعم المعنوي والمادي للجماهير اللبنانية والفلسطينية .

أما على الصعيد اللبناني - الفلسطيني ، فسواء كانت الغاية من الاقتراح الفرنسي ، محاولة جادة غرضها ضرب الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية بحراب الجنود الفرنسيين ، وسواء كانت الغاية عملية تهويل على الجماهير اللبنانية والمقاومة للقبول بالتدخل السوري والسكوت عنه ، وسواء كانت الغاية منه دفع قيادة الحركة الوطنية الى مزيد من التنازلات في حوار الطاولة « المستديرة » ، فان الموقف الثوري يتجلى في الرفض الحازم للاقتراح الفرنسي بصرف النظر عن الغرض الذي يريده تجليا ينبغي أن لا يتجسد في رفض المحاولة الفرنسية ، فحسب ، وانما في متابعة القتال حتى دحر الفاشيين نهائيا واقامة الحكم الوطني الديمقراطي العلماني . وظروف ارتباك الفاشيين والرجعية العربية والامبريالية كلها مؤشرات تؤكد عجز هذه القوى عن مواجهة المد الجماهيري المتصاعد وأمكانية تحقيق النصر ، اذ ما تيسرت لجماهيرنا قيادة حازمة مقدامة .

هل يقاتل العرب ؟!

اشار معهد الدراسات الاستراتيجية . في تقريره السنوي الاخير الصادر في بداية شهر أيار الحالي الى ميزان القوى العسكرية في منطقة الشرق الاوسط . وانتهى التقرير المذكور بايراد أرقام وجداول تتضمن اسلحة كل من اسرائيل ودول المواجهة العربية : مصر وسوريا والاردن والعراق ، حتى منتصف ١٩٧٥ .

- القوات المسلحة : اسرائيل ١٣٥ ألفا - الدول العربية ٦١٠ الاف موزعة كالتالي :

مصر ٢٧٥ ألفا ، سوريا ١٥٠ ألفا ، العراق ١٢٠ ألفا ، الاردن ٧٥ ألفا .

- المدرعات : اسرائيل ٦٩٠٠ - الدول العربية ٥٨٨٠ موزعة كالتالي :

مصر : ٢٧٠٠ ، سوريا ٢١٠٠ ، العراق ١٣٠٠ ، الاردن ٢٦٠ .

- مدفعية الميدان : اسرائيل ١٥٠٠ - الدول العربية ٣٣٣٠ موزعة كالتالي :

مصر ١٥٠٠ ، سوريا ٨٠٠ ، العراق ٧٠٠ ، الاردن ٢٢٠ .

- الدبابات : اسرائيل ٢٧٠٠ - الدول العربية ٥٨٤٠ موزعة كالتالي :

مصر ٢٠٠٠ ، سوريا ٢١٠٠ ، العراق ١٣٠٠ ، الاردن ٤٤٠ .